شرح

ثلاثة الأصول

للإمام الشيخ

محمد بن عبد الوهاب التميمي

- رحمه الله -

الدرس الأول

شرح فضيلة الشيخ

فيصل بن قزار الجاسم

- حفظه الله -

فهرس الدرس:

١- مقدمة:

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه وبعد؛ قال:. . . بثلاثة الأصول وليس بالأصول الثلاثة، والأظهر من. . . اشتهرت هي مختصر أخصر لأنها كانت تعلم الصبيان الصغار.

والرسالة المشهورة هي الثلاثة الأصول، وهي رسالة مختصرة ذكر فيها الشيخ -رَحمه اللَّهُ- ما يتعلق بأعظم ما يجب أن يتعلمه الإنسان، وذكر فيه ما يجب أن يجيب به إذا سُئل في قبره عن ربه، وعظمة الرب وقوف الرب لعباده، وبرسوله وبدين الإِسَّلَام، وهذه رسالة مهمة تبين يعني أعظم ما يجب أن يتعلمه المسلم نعم.

(المتن)

قال الإِمَامِ محمد بن عبد الوهاب -رَحمنا اللَّهُ وإياه-:بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: الأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "**لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ**".

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ والعمل.

(الشرح)

٢- أربع مسائل يجب على المسلم تعلمها:

نعم يقول الشيخ أن الإنسان يجب عليه تعلم أربع مسائل، أن يتعلم العلم وأن يتعلم العمل، وأن يتعلم الدعوة وأن يعمل بالصبر، وهي المذكورة في قوله -جَلَّ وعلا-: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[العصر].

الإنسان أي كل إنسان الألف واللام هنا تفيد الاستغراق، تفيد معنى الجميع كل، وهنا حكم الله -جَلَّ وعلا- على جميع الإنسان بالخسران، إن لم يتوصى بأربعة أسباب.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا، وهذه موافقة للعلم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ والعمل، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وهو الدعوة إلى الله -جَلَّ وعلا-، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وهو الصبر على الأذى في تبليغ العلم.

لذلك يقول الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "**لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ الآيَةَ لَكَفَتْهُمْ**".

٣- المرادُ بالعِلم:

والعلم ما المراد بالعلم؟ المراد بالعلوم الدنيوية المراد به، العلوم التي يجب أن يخرج الإنسان من الدنيا وهو عارفٌ بها، وهي التي سيسأل عنها في قبره.

فإنه قد صح عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، أن الإنسان يسأل في قبره عن أمورٍ ثلاث يسأل من ربك، أي من معبودك الذي كنت تعبده، لأن الرب إذا أطلقت يراد بها المعبود.

من ربك ما دينك ومن نبيك؟ من هو النبي الذي كنت تتبع وما هو الدين الذي كنت تدين الله ﷻ به؟ الدين أي التعبد الذي كنت تتعبد الله ﷻ به.

لأن الدين مأخوذة من دان يدين إذا دن ودن بالعمد، إذًا لابد الإنسان يتعلم هذا العلم أن يعرف الله، ويعرف الصلة بالله ويعرف حقوق الله -جَلَّ وعلا-، ليعبده -جَلَّ وعلا- على بصيرة.

أن يعرف النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وأن يعرف ما جاء به النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- من هذه الشرائع، شرائع الإِسَّلَام والإيمان.

لذلك قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد: ١٩]، الاستغفار عمل لكن قدم الله -جَلَّ وعلا- عليه العلم، لأنه لا يصح العمل إلا بالعلم، إذا أخر الإنسان طريق العلم ولم يعلم فإنه عمله باطل لا محالة نعم.

(المتن)

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والْعَمَلُ بِهِنَّ: الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل: ١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

(الشرح)

٤- المسائل الثلاث التي يجب على مسلمٍ تعلمها:

نعم يقول الشيخ: يجب الإنسان مسائل ثلاث، لأنه إذا أخطأ فيها ولم يعرفها فإنه لا يصح علمه، وإذا لم يصح علمه لم يصح عمله.

وإذا لم يصح عمله وعلمه لم تصح دعوته، وإذا لم يصح علمه وعمله ودعوته، لم يستفد من صبره على الأذى، لأنه صبرٌ على غير طاعة.

٥-المسألةُ الأولى: لماذا خلقنا الله؟

ولذلك يقول الشيخ: أن المسألة الأُولَى: أَنَّ تعرف بأن اللهَ خَلَقَنَا لنعبده، وأن الله لم يخلقنا عبثًا لأن الله تنزه عن ذلك: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، أي لا يؤمر ولا ينهى بل خلقنا الله -جَلَّ وعلا- لغاية، هذه الغاية العظيمة ليس لأجل حاجته إلينا، وإنما هذه الغاية ما يحبه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

ذلك. . . أن الله يجب أن يعبد ويحب أن يذكر، ويحب أن يشكر لا لحاجته إلى ذلك، لأن الله يحب ذلك، كما أن فيه مصلحة العبد فيه سعادته وراحته وهنائه.

ولذلك يقول الشيخ: هو خلقنا ورقنا ولم يتركنا هملًا، ما تركنا الله -جَلَّ وعلا- نعبده وفق ما نريد، أي لم يجعل الله الشريعة وفق الآراء والاجتهادات والأقيسة والعقول لا.

خلقنا الله لمقصدٍ واحد وبين لنا هذا المقصد، ما قالوا: اختاروا ما تشاءون من الطرق المهم أن تصلوا لا، وهذا من رحمته -جَلَّ وعلا- بالعباد، أن لم يجعل الشريعة وفق عقولهم، لأن العقول أضغاث.

وإنما خلقهم وأرسل إليهم رسلًا، فدل على أنه لا. . . إن لم يتبع الرسل فيما جاءوا به: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾.

وهذه سنة الله -جَلَّ وعلا-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، قال: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»، إذًا هذا مثل نعرف أن الله خلقنا.

وبين لنا الطريق الموصل إليه ببعثة الرسول، إذًا ليس لنا إلا ذلك الطريق، ما من طريق يوصل إلى الله -جَلَّ وعلا- إلا بهذا.

٦-المسألة الثانية: اللهُ لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته:

المسألة الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ به، أي لا يقبل الله - جَلَّ وعلا- إلا التوحيد، أي هذا الطريق الذي أرسله الله، وهذه العبادة التي أخبرنا به لا يقبل معه فيها شريك.

. . . أعبد الله في الصلاة بالذبح بالنذر بالطواف بالبيت بالرمي، بحلق الرأس بالتوكل بالحب بالإنابة بالخشية، هذه. . . لا يصحُ أن يصرف منها شيءٌ لغير الله، قال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨].

أي لا تعبد الله مع الله أحدًا، وقال: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾، بهذا أمروا.

ما أمروا أن يعبدوا الله -جَلَّ وعلا- أي عبادة، أمروا بالتوحيد توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، قال الله - جَلَّ وعلا-:«**أنا أ أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيره تركته وشركه**»، ولا الله إلا من كان خالصًا لوجهه.

إذًا هذه قضية مهمة بعدما أرشدك للأنبياء بينك لك شيء، بأن هذا لا يدخل فيه شريكٌ مع الله، كل ما أمرك به الأنبياء ورغبك فيه وذكر لك أجره وثوابه، ينبغي أن يكون لله -جَلَّ وعلا- وحده لا شريك له.

٧-المسألة الثالثة: الولاء والبراء:

ثالثًا: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وأطاع الله، وهي نفس الأولى وَوَحَّدَ اللهَ، بأن جعل عمله وفق مع توحيد الله - جَلَّ وعلا-، فإنه يلزم من هذا أن يحب ما أحبه الله، وأن يبغض ما أبغض الله.

وأن يوالي أولياء الله وأن يعادي أعداء الله، ولا يتم إيمان العبد حتى يحقق المولاة للمُؤْمِنِيْنَ والمعاداة للكافرين، لأن هذا فرعٌ لازم.

إذ محبتك لله وتقديمك لأمره -جَلَّ وعلا- وإفرادك له بالعبادة؛ يلزم منه أن تبغض أعداء الله وأن تحب أولياء الله، فإذا لم يقع منك فإن هذا يدل على انتفاء الإيمان.

كحال من يوالي أعداء الله ومن يحبهم ويعاونهم ضد المُؤْمِنِيْنَ، ومن ينصرهم ويؤيدهم على المُسْلِمِيْنَ، ويفرح بنصرهم ويحزن لذلهم، فلا شك أن هذا يدل على انتفاء الإيمان.

ولذلك لا يكون الله معك إلا لمن يحقق الولاء والبراء قال: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ما يمكن لا تجد قومًا يعني هذا غير موجود في الحقيقة الشرعية للمؤمنين.

وكل من فعل ذلك فإنه لا يمكن أن يجتمع الإيمان مع موالاة أعداء الله، والمولاة طَبْعًا واحدة منها ما هو محرم، ومنها ما هو كبيرة، ومنها ما هو كفر.

ومورد ذلك أن توده في دينه، كأن تنصره على المُسْلِمِيْنَ، أو أن تحب ظهوره، وتحب ما عليه من العقيدة الفاسدة، وما شابه ذلك، أما الاستعانة به أو استخدامه في الأعمال أو ما شابه ذلك فهذه قد تجوز، وقد لا تجوز.

وكذلك اتخاذهم أخدانًا وأصحابًا، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، وقال -جَلَّ وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

فالشاهد أنه يلزم من ذلك أن يوالي أولياء الله، وأن يعادي أعداء الله ولو كانوا أقرب الناس إليه، لأن الشيخ -رَحمه اللَّهُ-. . . أن هؤلاء كثيرًا،. . . من حقق التوحيد.

فكان يقول: نحن واثقون في دعوتك، نحن نعلم أن ما جئت به حق، وأن الدعوة إلى توحيد الله. . . حق، وأن من عليه الناس من طواف القبور والاستغاثة بالموتى والهتاف بأسمائهم والذبح لهم نعلم أنه شرك.

لكنهم لم يلتزموا ذلك ماذا فعلوا؟ وقفوا في صف المشركين ضد أهل التوحيد، فنصروا أقوامهم وقبائلهم وأهلهم على أهل التوحيد.

فبين الشيخ أنه لا يجتمع إيمانٌ صحيحٌ مقبولٌ عند الله مع نصرة أهل الشرك، إذًا تبين الشيخ أنه لا يمكن، ولهذا لما جاء الإِسْلَام فرق بين المُسْلِم والمشرك.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، وقيل: أن محمد ﷺ يفرق بين الناس، يفرقهم على التوحيد، فيجعل المسلم أقرب إلى المسلم من أخيه النسيب.

من أخيه لأمه وأبيه لأن أخوة الإِسَّلَام أعظم من أخوة النسب، وإن كان هذه لها حقوق... لها حقوق؛ لكن الإخوة يقال: سمع.

ولذلك... الصَّحَابَةِ في وجوه أقوامهم لما كانوا على الشرك في معركة بدر وفي غير بدر، لأنهم نصروا الشرك، فحينئذٍ إما أن يوالي الله -جَلَّ وعلا- وينصر دينه، وينصر التوحيد الذي جاء به الأنبياء.

وإما أن يصف في صف قرابته فيقدم قرابته ومحبة قرابته، ومحبة قربهم ونصرتهم على محبة الله، ونصرة دينه وشرعه.

ولذلك بين الشيخ -رَحمه اللَّهُ- أنه لابد أن يوالي الإنسان أولياء الله، وأن يعادي أعداء الله، وهذه قد يكون بعض الموالاة قد تكون كفرًا، وقد تكون معصيةً.

(المتن)

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَى "**يعبدونِ**": يوحدونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦].

(الشرح)

٨-معنى الحنيفية:

اعلم أن الحنيفية والمراد بالحنيف الحنيف هو المقبل على الله المعرض عن الشرك: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، الحنيف هو المخلص لله المقبل على الله بمعنى كليته، والمعرض عن الشرك.

أي هو الموحد الخالص هذا هو الحنيف، الحنيفية هي ملة إِبْرَاهِيْمَ ما هي التي أمر النبي ﷺ بإتباعها؟ أن تعبد الله وحده ملخصًا له الدين، أن تعبد الله -جَلَّ وعلا- حده.

وأن تكون عبادتك له مع الإخلاص، بمعنى قد يعبد الإنسان ربه؛ ولكن لا يخلص له كأن يدعوا الله ويدعوا غير الله، كأن يذبح لله ويذبح لغير الله، هذه عبادة ولكنها مقترنةٌ بالشرك.

وليس عبادةٌ مقبولةٌ ولا صحيحة، بل هذا خلاف لإِبْرَاهِيْمَ، وإنما جاء كثيرًا في النهي عن الشرك، ولذلك قال -جَلَّ وعلا-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، أي إلا ليوحدونِ.

٩-معنى العبادة، وأنها لا تُسمى عبادة إلا بالتوحيد:

يقول الشيخ: معنى يعبدون أي يوحدونِ، ابن عباس يقول:"**كل عبادة في القُرْآنِ فهي التوحيد**"، أي أن العبادة المأمورة بها في القُرْآنِ هي توحيد.

فإذا قال الله -جَلَّ وعلا-: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾، ما معنى اعبدوا ربكم؟ أي وحدوه، أنا قد أقول لك: أحسن إلى فلان، وقمت وأحسنت إلى فلان، حققت المطلوب.

قلت لك: أحسن إلى فلان، أو كرم فلان قمت وأكرمته، تحقق المطلوب؛ لكن لو قلت لك: أكرم فلانًا ولا تكرم غيره، هنا لو أكرمت غيره خالفت المأمور.

ولم أقول لو قتل لك: أكرمت فلانًا، فأكرمته وأكرمت غيره ما تحقق المطلوب، ولذلك عندما أمر الله بالعبادة ما أمر أن يعبد فقط، بل أمر أن يوحد بالعبادة.

وهذا معنى قول ابن عباس أن:"**كل عبادة في القُرْآنِ فهي التوحيد**"، أي أن العبادة ليس أن تعبد الله لا، أن تعبده مخلصًا له الدين: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

﴿فادعوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]، ولذلك جاءت كلمة التوحيد "**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ**"، أي قدم الله البراءة قبل إثبات التوحيد، لأنه لا يصح التوحيد إلا بالبراءة.

لأن المشركين كانوا يعبدون الله، كانوا يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون، ويفعلون أفعالًا من الخير والبر؛ لكنهم كانوا يفعلونها مقترنةً بالشرك، فيفعلونها لله ولغير الله.

قد يكون الذي يفعلون له. . . إنه شرك، ولذلك ما أمر الله -جَلَّ وعلا- بعباده فقط، بل أمرك أن توحده وهذا ما عناه الشيخ، قال: يعبدون أي يوحدون.

ولذلك العبادة لا تسمى عبادة إلا بالتوحيد، لا تسمى عبادة وكل عبادة داخلها الشرك ليس بعادة شرعية، ولذلك قال الله -جَلَّ وعلا-: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ *وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

كيف وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ؟ لو قال لك قائل: كيف؟ والله نقول: وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، يعني أنتم ما تعبدون إلهي الذي أعبده.

لو قال لك قائل: كيف يا أخي. . . يعبدون الله ويستغيثون بالله ويذبحون لله، وينذرون لله ويحجون بيت الله الحرام، نقول: نعم كانوا يفعلون؛ لكن ليس عبادة.

كيف ليس عبادة؟ نقول: نعم لأنهم كانوا يفعلونها لله ولغير الله؛ ولذلك لا تسمى عبادة أساسًا، لكن نفاها الله عنهم قال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، لأنهم عبدوا الله.

لكن لما كانت مقترنةً بالشرك، فليست عبادة شرعية، وإن كانت عبادة من جهة اللغة، أما العبادة الشرعية فهي العبادة بالتوحيد، ولذلك نفى الله -جَلَّ وعلا- عن المشركين أنهم عبدوه.

مع أنهم كانوا يعبدونه؛ لكن نفى أنهم عبدوه العبادة الشرعية، وهي التي الإخلاص قال -جَلَّ وعلا-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

فلهذا الشرك يحبط كله، أي كل عبادة تعملها عبادة صلاة وصيام، إذا أدخلت معها الشرك حبطت كل عبادتك، فلذا أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد.

١٠-أعظم ما أمر الله به التوحيد:

قال:"**وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ**"، إفراد الله أي أن يكون فردًا في إتمام الشيء، بمعنى أن يكون وحده وهذا هو التوحيد.

وهو أن يجعل معبوده هو الله -جَلَّ وعلا- وحده لا شريك له، وهي دعوة الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾، إذًا كل دعوة الأنبياء جاءت بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة، بمعنى أن يكون اللهُ المعبود وحده لا شريك له.

١١-أعظم ما نهى الله عنه الشرك:

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الأنبياء هو الشِّرْكُ؛ لكن أعظم معروف يدعوا إليه الإنسان، وأعظم منكر ينهى عنه هو الشرك، ولا تزال داعيةٌ إلى الله حتى يدعوا إلى التوحيد وحتى ينهى عن الشرك.

فمن لم يدعُ إلى التوحيد ولم ينهَ عن الشرك، فليس بداعية وليس بعالم، بل هذا جاهلٌ متطفل على الدعوة، لماذا؟ لأنه لم يقتدي بالأنبياء، من أعظم الدعاة إلى الله؟ الأنبياء.

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾، وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، فالله أرسله داعيًا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾.

ولذلك النبي ﷺدعى إلى التوحيد ونهى عن الشرك، فإذا كان الإنسان لا يدعوا إلى التوحيد ولا ينهى عن الشرك، فكيف يكون الإنسان من الدعاة خطأ

نعم.

(المتن)

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع وما فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السموات وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

(الشرح)

١٢-معنى الأصل، وأنه ما يُبنى عليه غيره:

نعم يقول: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ؟ الأصول جمع أصل والأصل ما يبنى عليه غيره، ولذلك إذا فسد الأصل فسد سائر البناء.

ولذلك يسمي الشيخ -رَحمه اللَّهُ- هذه أمورٌ أصولٌ، أي أنها إذا فسدت فسد الدين كله، فهي أصول يبنى عليها الدين، ولا يكون دين إلا بوجودها.

١٣-الأصول الثلاثة التي يجب على المسلم معرفتها والعمل بها:

ما هي الأصول الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أن يَعْرِفَهَا؟ قال: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم، وهي التي يسأل عنها الإنسان في قبره.

فإذا خرج من الدنيا ولم يعرف جواب هذه الأسئلة، ولم يلتزم بها فإنه لن يجيب ربه ولن يجيب سؤال الملك، ولذلك أول ما تسأل بعد مفارقة الدنيا، قبل أن يحاسبك الله -جَلَّ وعلا- أن يسألك من ربك؟.

أي من إلهك الذي كنت تعبد؟ ومن نبيك الذي كنت تتبع؟ وما هو دينك الذي كنت تدين الله ﷻ به؟ ولذلك الشيخ -رَحمه اللَّهُ- يعرف هذه الرسالة يعرف الرب، ويعرف النبي ويعرف الإِسْلَام.

١٤-الأصل الأول: معرفةُ العبد ربه، وبيانُ معنى الرَّب:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، الرب هو الخالق المالك المتصرف قال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه: ٤٨- ٤٩].

الرب الذي خلق كل مخلوقٍ على ما هو عليه، وهداه إلى مصالحه الدينية والدنيوية هذا هو الرب؛ لكن يعرف العلماء الرب: بالخالق يعرفون الرب بالسيد، يقال: رب المدرسة رب البيت إذا كان الآمرَ الناهي أي له الأمر.

فالرب هو المتصرف الخالق المالك المتصرف في الأمور، ولهذا قال الشيخ: الله رباني أي خلقني وأوجدني وربى جمع العالمين، وهو خالقهم ومدبر أمورهم بنعمه -جَلَّ وعلا-، لأن جميع ما في الناس من نعمة فمن الله.

قال: وَهُوَ مَعْبُودِي أي هو ربي الذي خلقني، والذي لا أعبد أحدًا سواه، وَهُوَ مَعْبُودِي فإن الرب إذا أطلقت يراد بها المعبود، الرب والإله كالإسلام والإيمان.

لأن الإِسَّلَام لمن أسلم عمله كان الإِسَّلَام لما ظهر من الأعمال، والإيمان لما بطن من الاعتقادات، وإذا افترقا وذكر الإِسَّلَام وحده دخلت فيه أعمال القلوب، وإذا أفرد الإيمان دخلت فيه أعمال الإِسَّلَام كالصلاة والصيام ونحو ذلك.

كذلك الإله والرب فإن الإله إذا أطلق دخل فيه معنى الرب، أي صار الإله بمعنى المعبود وبمعنى الخالق المدبر، وإذا أطلق الرب كان المعنى ليس معبود غيري.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾، أي آلهة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أبغي ربًا هل المشركون طلبوا من النبي أن يعترف بأن. . . من خلقه غير الله؟ ما الذي طلبوه منه؟.

هم كانوا يقولون: أن الله هو الخالق الرازق؛ لكن لما تقول: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾، أي الإله المعبود أي هم طلبوا منه أن يعبد غير الله بمعنى أن يشرك بالله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ لا يمكن.

ولذلك الرب هنا. . . وهو معبود، الشيخ أكد أن قوله الملك: من ربك ليس قصده من خالقك، لأن هذا كان يقول به المشركون، وإنما من ربك؟ أي من خلقك الذي تعبده.

أي هو الخالق الذي يستلزم أن يكون معبود وحده -جَلَّ وعلا-، وَالدَّلِيلُ على أن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، هذا دليل.

الحمد لله والحمد وصف المحمود بصفات الكمال على وجه التعظيم والمحبة، ورب العالمين أي هو رب جميع العالمين، والعالم كل من سوى الله، فالجن عالم والإنس عالم والطير عالم، والملائكة عالم.

١٥-بِمَ يُعرف الرَّب؟

قال: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ أي كيف عرفته كيف عرفت الله؟

قالْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، فإن الله يعرف -جَلَّ وعلا- بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

والله -جَلَّ وعلا- يعرف بالعقل، ويعرف بالفطرة ويعرف بالحس، ولما قيل للأعرابي كيف عرفت ربك؟ قال: سماءٌ ذات أبراج، وجبال ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على العلي الخبير. . . ؟.

ولذلك الإنسان إذا رأى من آيات الله -جَلَّ وعلا-. . . ربه، لأن هذا النظام والعمل به لا يمكن أن يكون إلا مخلوقًا لمخلوقٍ ذي خالقٍ واحد، وهذا ما عناه الشيخ في تعريفه للآيات التي ذكرها الله في التفكر والتدبر.

قال: وَمِنْ آيَاتِهِ أي الدالة على ربوبيته وإلوهيته، الليل والنهار والشمس والقمر، فيتفكر الإنسان في ملكوت الله: ﴿أَولَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، هذه علامةٌ من علامات التفكر.

كما ذكر الله -جَلَّ وعلا-: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

أي في العبادة كما تعترفون بأنه ليس له ندٌ في الخلق، قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ

النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

قال: هذا الذي ربَ وخلق، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ واسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وخلق النجوم هذه مسخراتٌ بأمره أي خلقها وأمرها.

ولذلك قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، فالله خلقك وأمرك، خلقك وأمرك بأن تعبده وحده لا شريك له، لعلنا نقف عند هذا عند قوله: والرب هو المعبود أو نكمل.

(المتن)

والرب: هو المعبود والدليل على ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٠-٢١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "**الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ للعبادة**".

(الشرح)

١٦-الرَّب هو المعبود، ودليلُ ذلك وتفسيره:

نعم يقول الشيخ -رَحمه اللَّهُ-: والرب: هو المعبود، أي المسئول عنه في سؤال الملك في القبر من ربك؟ أي من معبودك كما ذكرنا.

ثم قال: والدليل قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٠-٢١].

اعبدوا الرب من هو الرب؟ أي الذي خلقكم، خلق السموات وخلق الأرض ويسر لكم الأمور وأخرج لكم الثمرات.

فإن الإنسان إذا عرف بأن الله هو المتفرد في هذه الأفعال، وفي هذه النعم لا بد أن يكون هو المعبود، لأن العبادة هو التذلل لأعظم محبوب.

فإذا كان الله -جَلَّ وعلا- هو المنعم والمتفرد بالإنعام، لابد أن يكون المعبود ولذلك يقول العلماء: أن الاعتراف بأن الله -جَلَّ وعلا- هو الرب، يستلزم أن يكون المعبود وحده لا شريك له.

ولذلك قال: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية، وكثيرًا ما يبين الله -جَلَّ وعلا- استحقاقه للعبادة، بأن يكون يعني يفرد العبادة بأن يذكر خلقه -جَلَّ وعلا-.

كما قال: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ثم عرف نفسه بأنه يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، وإذا كان الله هو الذي خلقنا والذي رزقنا والذي يسر أمورنا، يعني لابد أن يكون هو المعبود.

وإذا قال: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، يعني لا تجعلوا شركاء في العبادة، وأنتم تعلمون أنه لا شريك له في الربوبية.

فكما أنه ليس له شريكٌ في الخلق ولا في التدبير، يجب أن لا يكون له شريك في العبادة، وإلا كيف يعبد الإنسان مخلوقًا ويترك الخالق ولا يوحده -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

يقول الشيخ: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "**الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ للعبادة**"، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ للعبادة -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ولهذا توحيد الربوبية إذا آمن الإنسان حق الإيمان، فإنه يستلزم أن يكون الله -جَلَّ وعلا- هو المعبود وحده.

وهذا هو الخلل الذي وقع فيه المشركون، كانوا مقرين بالربوبية؛ لكنهم كانوا ينكرون الإلوهية، يعني ينكرون أن يكون الله -جَلَّ وعلا- يستحق أن يعبد وحده.

هم ما أنكروا أن يكون الله -جَلَّ وعلا- معبودًا لا هم يعبدون الله؛ لكن الذي أنكروه هو إفراد الله بالعبادة أي أنكروا توحيد العبادة، ولم ينكروا العبادة.

يقولون: الله يستحق أن يعبد ويستحق أن يتأله له؛ لكن لا يعني ذلك أن نفرده بها، هذا هو الذي هو محور الصراع بين الأنبياء وبين أقوامهم، وهو توحيد العبادة.

ولذلك قال الله -جَلَّ وعلا-: كيف توحدونه في العبادة، وأنتم تقرون انه لا شريك له في الخلق ولا في الملك ولا في أي شيء؟ لا يمكن.

ولذلك جاء الأنبياء بأمرهم بإفراده بالعبادة، كما أن يفردونه بالخلق والملك والتدبير، قال -جَلَّ وعلا-: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦].

أي يؤمنون بالربوبية ويشركون بالعبادة في الإلوهية، لعلنا نقف عند هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.